

المعجزات النبوية بين الإيمان والجحود

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

أما بعد:

فالنبوة والمعجزة متلازمان يستلزم إنكار أحدهم إنكار الآخر ، هذه حقيقة
تدرك بأدنى تأمل ، وعلى هذه الصفة آمن بها المسلمون منذ فجر الإسلام ،
وعليها درج متقدموهم ومتأخروهم إلا فئة شاذة لا تخلو من مثلها ملة ولا
نحلة ، كان جزاء إنكارها التشهير والتحذير و التفسيق بعد إقامة الحجة
والإعذار والتعجيز.

و المعجزة المادية أمر لا بد منه ، والفائدة المتوخاة منها عظيمة النفع فإن
جماهير المؤمنين في جميع الأديان تكون من سواد الناس ودهمائهم ، وهؤلاء لا
يتحاكمون إلى العقل ولا يدركون براهينه ولا يقتنعون بمنطقه، وإنما يدعون
للدليل المحسوس ويؤمنون بخرق العادة ، فالمعجزة إعلام من الله تعالى بصدق
الرسول فيما يبلغ ، بهذا المفهوم سجلها علماء المسلمين وتلقنها الأطفال في
الكتاتيب والطلبة في المدارس والعامّة والقراء في المساجد ، ومن منا لا يتذكر
قول المرشد المعين.

إذ معجزاته كقوله ، وبر*** صدق هذا العبد في كل خير

والملاحظ في هذا الصدد للباحث أن المعجزات تداولها اتجاهان متقابلان:

الأول: اتجاه سليم صالح نافع ، وهو اتجاه المحققين الناقدین المحدثين والإخباريين والفقهاء والأصوليين ، ويتجلى في نقد الروايات وفحصها ودرايتها وجمع ألفاظها وطرح الزائف وما لا يقوى على النقد منها ، طبق قواعد البحث العلمي ومبادئ النقد التاريخي الذي كان المسلمون السابقين إلى إرسائها وتقعيدها وتطبيقها في نقد الأخبار والآثار والرواة ، كما اعترف بذلك العدو قبل الصديق ، وترى نتائج مجهوداتهم في كتب الحديث، التي يلتزم أصحابها الصحة، كالصحيحين وبعض المسانيد ، ولا ينتفع في هذه الكتب إلا على ما يطمئن له القلب ويسكن إليه الضمير ، ويرتاح له الخاطر.

الثاني: اتجاه المتساهلين المغريين الجامعين لما دب ودرج وقام وقعد، وهو عمل سقيم فاسد ضار ، وهو المسؤول عن تعبيد الطريق أمام الدسائين المأجورين ، وفتح الفجوة في حصن الإيمان قبالة المتسللين المفسدين ، وغير مستغرب من هؤلاء أن يقول قائلهم إن المعجزات بلغ عددها ألفا، فإن منهجهم في البحث ، وطريقة تأليفهم كفيلة بإبلاغها عدة آلاف، ما دامت قواعد العلم والبحث ملغاة من حسابهم ، والعقل والتفكير محتقرا مطرحا في ميدانهم ، ويمثل هذا الاتجاه أمثال: ابن سبع السبتي ، وجلال الدين السيوطي ، والقسطلاني ، والشامي، والحلي، إلى دحلان، والنبهاني ، وغيرهم، وعلى كتب هؤلاء وأقوالهم اعتمدت شرذمة منكري المعجزات في التشويه

والتضليل ، تلك الشرذمة التي نبغ قرنها في مطلع هذا القرن من خلال
الظلام الذي خيم على العالم الإسلامي ولبد جوه منبعثا من مداخن العقول
الكافرة المادية التي واكبت مداخن التقدم والنهضة في أوروبا الناقمة على
الدين والمغرة بمحاربتته مدفوعة بانحراف الكنيسة ورجالها الضالين المضلين،
وتضم هذه الشرذمة أسماء لامعة لها وقع كبير ورنين بالغ في تاريخ يقظة العالم
الإسلامي الحديث ، أمثال :جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده، ورشيد
رضا، ومحمد فريد وجدي، وطنطاوي جوهرى، ومحمد حسين هيكل ، إلى
محمود شلتوت ، ومحمد المدني ، وعبد الجليل عيسى ، وغيرهم .
وقد تواصلت هذه الجماعة بالقيام بهذه (المهمة) فلا تقع في كتاباتهم على
معجزة نبوية متواترة سواء كانت واردة في القرآن أو صحت بها الأخبار إلا
رأيهم جاهدين في تأويلها تأويلا يكون إنكارها مرة واحدة أهون منه .
والعجب من أمر هؤلاء أن موقفهم يتغير تماما إذا تبني القضية مستشرق
ماكر ومبشر متلفع بمسوح العلم الحديث ، وسوابقهم في هذا الميدان مبنوثة
في آثارهم المسمومة التي أضرت بالصغير والكبير وكان هدمها في جانب
العقيدة أخطر من بنائها في نواحي الآداب والسياسة والاجتماع ، ولا زال
الناس يذكرون جنون فريد وجدي وطنطاوي جوهرى بعلم استحضر
الأرواح وافتتاهم بالروحية الحديثة - لعبة يهودية مكشوفة - حتى إذا
ذكرت المعجزات أخذوا في رثاء العقل ونصرته على الخرافات والأساطير مما
يزعمون ولم يتورع جوهرى في تفسيره الذي سماه " الجواهر " أن يعلن تحسره
على العقل المسكين المضطهد الذي يكلفونه ما لا يطيق... يكلفونه الإيمان
بوجود مولود دون أب (عيسى عليه السلام) هكذا يقول عالم معدود من

كبار علماء المسلمين ومفسريهم في كتاب طبقت شهرته العالم وأهجت بتقريضه السنة لا تحصى ، وصحف لا تستقصى ، ولم يرتفع من بينها صوت واحد مسموع إلا همس خافت من بعض المغمورين وبوسائل لا أثر لها في مجال الإعلام والنشر، وهذا في مصر حيث الأزهر (حصن الإسلام الحصين)!!.

كما لا يزال ماثلا في أذهان الناس كلام مسؤول تضمن المساس بأنبياء الله والسخرية بآياتهم التي ذكرها القرآن وأكدها ، وذلك أمام ملاء من الأساتذة والعلماء الذين لم يتلطف واحد منهم في إرشاده وتذكيره بضروريات الدين.

وأخيرا - وليس آخر - ما تناقلته الصحف عن رئيس في إحدى دول المغرب العربي أنه شن هجوما سافرا على كتاب الله تعالى ورسوله الكريم وسيرته العطرة ومعجزاته المستفيضة ردد فيه إنكاره بأسلوب أرعن ساخر ، والمضحك المبكي في أمر هؤلاء أن يتناقضوا فيسارعوا إلى الاحتفال بالمواسم الدينية وإحياء ذكرياتها كذكرى الإسراء والمعراج ، التي كثر الكلام فيها في السنوات الأخيرة ، كأن ذلك معاكسة اليهود المختلين للمسجد الأقصى العلنين عزمهم على إقامة هيكل سليمان مكانه، فلعل السادة كفوا عن الإنكار- هذه الأيام - حياء وخجلا ، حتى إذا تمكنوا من العودة وانتصروا عادوا إلى (قواعدهم).

إن علماء المسلمين ودعاتهم وغيو يههم مدعوون اليوم أكثر من أي وقت مضى ، إلى الجهاد في سبيل الإسلام الذي تغزوه الأوبئة الفتاكة في عقر داره وتمتده الشرور الطاحنة من داخل مواقعها ، ولا أقول (حصونه) فليست هناك حصون ولا تحصين ، فهو بالعراء أعزل ... ومعزول ، رغم أنه الدين الكامل المرتضى ، والنظام الرباني المتكامل ولا حول ولا قوة إلا بالله